قضية فلسطين في ضوء مرجعية القرآن

✍ أ. متولي موسى

سأحاول في هذا الموضوع المحدود الصفحات التذكير بخمس آيات من القرآن الكريم كأساس لبيان المرجعية في قضية فلسطين وغيرها من قضايا المسلمين ، والتذكير بعدد من النتائج التي أحسبها هامة وتتعلق بقضية فلسطين على ضوء هذه الآيات .

أولاً : الآيات والاستنتاجات

① **الآيات :** قال الله تعالى فيها : { **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ۞**

٩

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۞ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ } [محمد : ٣١-٣٥].

② **الاستنتاجات :**

(١) ذكر الله تعالى أعظمَ امتحان يمتحن به عباده وهو الجهاد في سبيله فقال « **ولنبلونكم** » أي : نختبر إيمانكم وصبركم « **حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين** » العلم الكاشف في واقع الحياة ، « **ونبلوا أخباركم** » نمتحن أقوالكم ومدى ثباتكم عليها .

(٢) ثم ذكّر بالوعيد الشديد لمن جمع أنواع الشر متمثلة في : الكفر بالله عزَّ وجلَّ ، والصد عن سبيل الهدى الذي نصبه موصلاً إليه ، ومعاندة الرسول ﷺ ومخالفته عن عمد وعناد . وبين أن الموصوفين بذلك لن ينقصوا من ملك الله تعالى شيئاً ، « **وسيحبط أعمالهم** » أي : مساعيهم التي بذلوها في نشر الباطل ونصره ، بان لا تثمر لهم إلا الخيبة والخسران .

(٣) ثم أمر المؤمنين بسبيل تحصيل السعادة في الدنيا والآخرة ، وهو طاعته سبحانه وطاعة رسوله ﷺ بامتثال أوامر

الشرع والانتهاء عما عنه نهى وزجر ، وذلك بالإخلاص لله تعالى ومتابعة الرسول ﷺ .

وعقب بقوله تبارك وتعالى : « **ولا تبطلوا أعمالكم** » أي : لا تفسدوها . والنهي عن إبطال الأعمال ، هو أمر بإصلاحها ، وإكمالها وإتمامها ، والإتيان بها على الوجه الذي تصلح به علماً وعملاً .

(٤) وقوله سبحانه هنا « **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار** » وقوله عزَّ وجلَّ في سورة البقرة : { ... **وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** ... } [٢١٧]. في الآيتين تقييد لكل مطلق من النصوص التي ورد فيها إحباط العمل بالكفر ، بأنه لا يحبط بالكفر إلا إذا مات الإنسان على الكفر .

وسبحان الله الحليم ، الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة ، فيرزقهم مع عصيانهم وقدرته عليهم ، ويترك لهم باب التوبة مفتوحاً إلى أن يموتوا على المعصية ؛ فهل من معتبر قبل فوات الأوان ؟!

(٥) ثم قال تعالى : « **فلا تهنوا** » أي : لا تضعفوا عن

قتال عدوكم ويستولي عليكم الخوف ، بل اصبروا واثبتوا ، ووطنوا أنفسكم على المواجهة والجلاد ، طلباً لمرضاة ربكم ، ونصحاً لدينكم ، وإغضاباً للشيطان ، « **وتدعوا إلى السلم** » أي : ولا تدعوا إلى المتاركة بينكم وبين عدوكم طلباً للراحة ، « **وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم** » أي : هذه الأمور الثلاثة قد وفرت لكم أسباب النصر إذا آمنتم وتلبستم بها:

الأول : أنتم الأعلون بعقيدة التوحيد والإيمان الصادق بالله واليوم الآخر ، مصداق قوله تباركت أسماؤه : { **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** } [آل عمران : ١٣٩] .

الثاني : الثقة في معية الله تعالى الخاصة بالمؤمنين ، فهو معهم بالنصر والتسديد والإرشاد ، الموجب لقوة قلوبهم وإقدامهم على تنفيذ أمر الله تعالى وعدم الخوف من عدوهم ، ويكفي هنا أن نتدبر قول الله تعالى في عدد من الآيات ، أذكر منها :

{ ... **فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** } [البقرة : ١٨٦] .

{ **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ۞ قالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ۞ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** } [طه : ٤٣-٤٦] .

{ **فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** } [الشعراء : ٦١-٦٢] ...

{ **إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ... } [التوبة : ٤٠]

الثالث : أن الله تعالى لا ينقص العاملين شيئاً من أعمالهم ، بل سيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، خصوصاً عبادة الجهاد في سبيله . فإذا عرف المؤمن أن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن العمل وجاهد في سبيل الله ، أوجب له ذلك النشاط وبذل الجهد ليفوز بإحدى الحسنيين النصر أو الشهادة .

ثانياً : **التطبيق على قضية فلسطين**

① المؤمن الرسالي الذي يعتقد أنه موضع ابتلاء واختبار

من الله تعالى ، يمتلك عزيمة ماضية وإرادة قوية وثقة بالنفس ، تجعله يعتقد بأن أي قوة أرضية طاغية - بما في ذلك قوة أمريكا والكيان الصهيوني - ليست هي المتصرفة في الكون ، فيمضي في إعلان الحقائق كاملة ، ويدافع عن الحق ، وثمن ذلك الجهاد مضمون في قوله سبحانه « **ولن يتركم أعمالكم** » .

أما الذي يعطي الدنية من نفسه فسيظل يتنازل ويتنازل حتى لا يبقى لديه ما يتنازل عنه - كما هو حادث الآن في فلسطين - لأن الطاغي المتسلط لن يرضى بأقل من ذلك ، وخاصة : الأمريكان والصهاينة .

② لقد خرجت التحليلات الكثيرة منذ اندلاع انتفاضة الأقصى ، والتي ركز المحللون فيها على عروبة القدس ، وأن القدس هي الرمز الديني للمسلمين والمسيحيين .. إلخ . ونؤكد هنا بأن فلسطين كلها أرض إسلامية ، ربط الله تعالى بين المسجد الأقصى فيها والمسجد الحرام رباط عقيدة ، فقال عزَّ وجلَّ : { **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** } [الإسراء : ١] ، وبالتالي فلا يجوز التفريط

أو المساومة على أي جزء من أرضها التي اغتصبها العدو الصهيوني ؛ بدعم من قوى الاستكبار العالمي ، وتسليم الأنظمة العربية للمغتصب بما اغتصب ، بحجة الأمر الواقع استسلام مهين ، فالعدو الصهيوني جاء إلى المنطقة بمشروع خطير الأبعاد يهدد الوجود الإسلامي والعربي في المنطقة ، ولم يعد كثير من هذه الأبعاد خافية على كل ذي لب وبصيرة . وهذا من الابتلاء الذي أرشد الله تعالى إليه بقوله « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم** » ، وأكد على التمسك بالحق وعدم التسليم للعدو في قوله : « **فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم** » .

③ طالعتنا وسائل الإعلام العربية بعد انتفاضة الأقصى المبارك بتحليلات تؤكد على التحيز الأمريكي للكيان الصهيوني فيما يتعلق بالقدس !! ونحن نؤكد أن الخلفية التربوية والثقافية الأمريكية هي توراتية ، وبالتالي فالتحيز الأمريكي للصهيونية والكيان الصهيوني ليس وليد مباحثات كامب ديفد (٢) ومباحثات القدس ، وإنما هو تحيز منذ وجود الكيان الصهيوني

في فلسطين المحتلة ، وإن كانت أحداث الأيام والأسابيع الأخيرة أظهرت وبشكل وقح هذا التحيز !! ولكن هذا السلوك الأمريكي ما كان ليكون لو لم يجد من يقبل به من العرب ويسوِّقه بين الشعوب العربية والإسلامية المغلوبة على أمرها ، وما برز من تصريحات لبعض العرب وبصورة سافرة يؤكد أن دورهم دور العراب والمسوِّق لما يريده الأمريكان والصهاينة .

إن التصريحات الأمريكية الصهيونية الصادرة عن الخلفية التوراتية في جوهرها ثابتة لا تتغير ، والذي أظهرها هو وصول القضية إلى النهاية ، فلم يحصل الفلسطينيون حقيقة وواقعاً على شيء ، ولم يعد هناك أمام المفاوض ما يخدع به من صدَّق أن هذه المباحثات يمكن أن تعود على الفلسطينيين والعرب بخير ومستقبل زاهر واعد !!

ألم يقل الله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ..} [النساء : ٥٩] . إن طاعة الأمريكان والصهاينة والجري وراء سراب الشرعية الدولية لن يعود على العرب والفلسطينيين إلا بالقضاء على الآمال وضياع الأرض ، والوبال والخسران في الدنيا والآخرة .

④ الصراع العربي- الصهيوني هو صراع هوية ووجود وليس صراعاً على نسبة مئوية من الأرض ، والذي يتابع الشعارات التي رفعها الصهاينة منذ مؤتمر بازل عام ١٨٩٧م وحتى اليوم يتجلى له ثبات الأهداف والعمل الحثيث لتحقيقها على مراحل .

وفي المقابل نجد الشعارات العربية في طريقها للزوال فقد بدأت بالقول : " **التحرير الكامل وعودة الوطن السليب** " ، ثم تحولت إلى " **ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة** " ، ثم نزلت إلى " **إزالة آثار عدوان ١٩٦٧م** " ووصلت في مدريد سنة ١٩٩١م إلى " **الأرض مقابل السلام** " و " **قرار الشرعية الدولية ٢٤٢** " ، وأخيراً في هذه الأيام طالعتنا تصريحات باسم " **الحلول الخلاقة** " التي تقوم بالتسليم للصهاينة بالسيادة على عدد من أحياء القدس الشرقية وحائط البراق ، والسيادة على الأرض وما تحت البناء !!!

وكل الذي يصدر عن الاجتماعات بجميع أنواعها " قمم ثنائية أو ثلاثية أو عربية " هو " السلام خيار استراتيجي للعرب " !! .

⑤ إن قضية فلسطين لا يمكن فرض حل نهائي لها مع وجود هذا الخلل في موازين القوى الذي يحاول الأمريكان والصهاينة فرضه على العرب ، وإذا أردنا الرفعة في الدنيا والفوز في الآخرة فلا بد من استيعاب السنن الكونية واسترجاع الذاكرة التاريخية لإحياء روح الجهاد من جديد ، وذلك تنفيذاً لأمر الله تعالى : { **فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ** } [الزخرف : ٤٣-٤٤] .

ثم الأخذ بالأسباب والتي يملك العرب منها كثيراً ، وإعداد العدة على كل صعيد كما أمر الله تعالى : { **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ... } [الأنفال : ٦٠] .

والاعتقاد بوجود ساعة حاسمة كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ في قوله : (**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود**) رواه مسلم في صحيحه.

فالصراع الإسلامي مع الأمريكان والصهاينة هو الذي يحكم حركة

التنازع ، ولن تحسمه مفاوضات استسلام ، وإنما يحسمه وبشكل أساسي « ولا تحبطوا أعمالكم » . وهذا لا يكون إلا بالمواجهة والثبات والجلاد مع الصبر ، وعليه فلا بد من توفير الطاقات والقدرات اللازمة لذلك، ولا يمكن لقوى معادية للتدين مشاقة للرسول ﷺ أن تحقق ذلك ، ولنتدبر قول الله عزَّ وجلَّ : { **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ** } [محمد : ٣٢] . **وبعد فيا أيها المسلمون هل من آخذ للعبرة قبل فوات الآوان ؟!**